

## سرف في القرآن الكريم دراسة دلالية

مجيد محمدي

أستاذ مشارك (الكاتب المسؤول) في فرع اللغة العربية وآدابها، جامعة الرازي، كرمناشاه، إيران

هديل طه رحيم

جامعة الرازي كرمناشاه كلية الآداب والعلوم الإنسانية اللغة العربية وآدابها

M.mohammadi@razi.ac.lt

tahahadeel777@gmail.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ سورة المجادلة، الآية (11)

### الملخص

يتناول هذا البحث دراسة دلالية معمقة لجذر (سرف) في القرآن الكريم، من خلال تتبع مواضع وروده في النص القرآني واستقراء معانيه في سياقاتها المختلفة، للكشف عن الحقول الدلالية التي يدور حولها هذا الجذر، ووجوه استعمالاته المتعددة في التعبير القرآني، وبيان مدى اتساعه المفهومي بين المعنى اللغوي والمعنى الشرعي. فقد تناول البحث علاقة هذا الجذر بمفاهيم الإفراط والتجاوز والضراوة والجهل، مع مقارنة دقيقة بين ما أثبتته اللغويون في المعاجم القديمة وبين ما أفصح عنه السياق القرآني من دلالات خاصة تبرز إعجاز البيان الإلهي في اختيار الألفاظ. تكمن أهمية هذا البحث في أن مادة (سرف) من الألفاظ القرآنية التي تتكرر في مواضع عدة، وتحمل أبعاداً أخلاقية وتشريعية وإنسانية عميقة تتصل بمفهوم تجاوز الحد المشروع، سواء في السلوك الفردي أو الجماعي، وهو مفهوم يمسّ جوهر التوازن في الحياة الإسلامية. كما تبرز أهمية البحث في إسهامه في الدراسات اللغوية والقرآنية من خلال ربط المعنى اللغوي بالأبعاد الدلالية للنص المقدس، بما يعين على فهم أدقّ لأساليب التعبير القرآني ومعانيه المقصودة وقد اعتمد البحث منهجاً وصفيّاً إحصائياً تحليلياً، فقام الباحث بحصر جميع المواضع القرآنية التي وردت فيها مادة (سرف)، ثم درس صيغها وبنياتها الصرفية، محلاً دلالاتها في ضوء كتب التفسير واللغة. وتوصل البحث إلى أن مادة (سرف) تدور في مجمل استعمالاتها حول معنى تجاوز الحد المشروع، وأنها وردت في ثلاثين موضعاً في القرآن الكريم، ستة منها بصيغة الفعل وسبعة عشر بصيغة الاسم، وأنها جاءت في أكثر استعمالاتها بمعنى الشرك بالله، أو التجاوز في الإنفاق والمعاصي، وأن دلالاتها جميعاً يجمعها قاسم واحد هو تعدي حدود الله ومجاورة ما شرعه لعباده.

### Summary

This research presents an in-depth semantic study of the root sarafa in the Holy Qur'an by tracing its occurrences and examining its meanings within various contexts, in order to uncover the semantic fields that this root revolves around, as well as its diverse usages in Qur'anic expression. The study highlights the breadth of its meaning between its linguistic sense and its Qur'anic application, exploring its association with concepts such as excess, transgression, indulgence, and ignorance. It also compares the lexical definitions found in classical Arabic dictionaries with the contextual meanings revealed by Qur'anic usage, thus demonstrating the miraculous precision of divine expression in word choice. The importance of this research lies in the fact that the root sarafa is one of the Qur'anic terms that recur in multiple verses and carry profound moral, legal, and human dimensions related to the notion of exceeding lawful limits—whether in personal behavior or communal conduct. This concept touches upon the core of moderation and balance in Islamic life. The study also contributes to linguistic and Qur'anic scholarship by connecting linguistic analysis with the deeper semantic dimensions of the sacred text, thereby offering a clearer understanding of Qur'anic expression and intent. The research adopts a

descriptive, statistical, and analytical methodology. The researcher collected all Qur'anic verses containing the root sarafa, identified their morphological forms, and analyzed their meanings in light of linguistic references and classical exegesis. The study concludes that the root sarafa consistently revolves around the idea of transgressing lawful boundaries, appearing twenty-three times in the Qur'an—six times in verbal forms and seventeen times as nouns. In most contexts, it denotes polytheism (shirk), excessive spending, or sinful behavior. All of these uses share a unifying semantic core: the act of exceeding divine limits and going beyond what God has ordained for humankind.

المقدمة

الحمد لله الذي خلق الإنسان، فأنطقه البلاغة والبيان، وعلمه حقائق القرآن بالمعرفة والبرهان، والصلاة والسلام على سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم)، أفصح من نطق الضاد باللسان، وعلى آله وأصحابه ومن تبعه بإحسان، أما بعد فقد كان من عظيم ما أنعم الله به عليّ أن هداني للبحث في كتابه الكريم، فإن خير البحث ما كان في باحة القرآن، والذي مازال نبعاً صافياً ينهل منه طلاب العلم، فلا هو ينضب ولا هم يرتوون، وكلما قصده طالب علم وجده غصاً طرياً ولم يزد منه إلا يقيناً وعلماً؛ لذا أثرت أن يكون النص القرآني مادة لدراستي، تحت عنوان: (مادة (سرف) في القرآن الكريم دراسة دلالية) واتبع في هذا البحث منهجاً وصفيّاً احصائياً تحليلياً، وذلك باستقراء الآيات المتضمنة لمادة (سرف) في القرآن الكريم، ومن ثم تحديد صيغها، والوقوف على ما ورد فيها من دلالات. وقد اقتضت طبيعة مادة الدراسة تقسيمها على ثلاثة مباحث وخاتمة، أما المبحث الأول فقد تناول الدلالة اللغوية لمادة (سرف) في المعجم العربي، تناول المبحث الثاني صور اشتقاقات مادة (سرف) ودلالاتها، وتناول المبحث الثالث نماذج مختارة من صور اشتقاقات مادة (سرف) في التعبير القرآني في كتب التفسير، ثم خاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصل إليها البحث. وأخيراً وليس آخراً الله أسأل أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتي يوم لقائه وحسبي فيما حرر اليراع أني قد بذلت فيه قصارى جهدي، فإن أصبت فبتوفيقه تعالى، وإن زلت فمن تصيري، والله من وراء القصد، فهو ولي التوفيق والسداد.

### المبحث الأول: الدلالة اللغوية لمادة (سرف) في المعجم العربي

قال الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت: ١٧٠هـ): ((الاسراف نقيض الاقتصاد، وللحم سرف كسرف الخمر وهو الضراوة. والمسرفوة من الشاء التي تقطع أذنّها أصلاً. وفي المثل: "أصنع من سرفة"، وهي دويبة صغيرة تنقب الشجر وتبني فيه بيتاً. وسرف الشجر، أي: أصابته السرفة. والسرف الجاهل وقال:

إن امرءاً سرف الفؤاد يري عسلاً بماء سحابة شثمي<sup>(١)</sup>

والسرف: الخطأ. يقال: (ارذتكم فسرفتكم) قال: (ما في عطائهم من ولا سرف)، أي: لا يخطؤون ويضعونه موضعاً<sup>(٢)</sup> وذكر الجوهري (ت: ٣٩٣هـ): أن ((السرف: ضد القصد. والسرف: الإغفال والخطأ وقد سرفت الشيء بالكسر، إذا أغفلته وجهته. وحكى الأصمعي عن بعض الأعراب وواعده أصحاب له من المسجد مكاناً فأخلفهم، فقيل له في ذلك فقال: "مررت بكم فسرفتكم"، أي: أغفلتكم... ورجل سرف الفؤاد، أي مخطئ الفؤاد غافله. والسرف: الضرواة<sup>(٣)</sup>) ونص ابن فارس (ت: ٣٩٥هـ): على أن ((سرف: السين والراء والفاء أصل واحد يدل على تعدي الحد والإغفال أيضاً للشيء، تقول: في الأمر سرف، أي: مجاوزة القدر. وجاء في الحديث: "الثالثة في الوضوء سرف، والرابعة سرف". وأما الإغفال فقول القائل: (مررت بكم فسرفتكم"، أي: أغفلتكم. وقال جرير:

أعطوا هنيذة يحذوها ثمانية ما في عطائهم من ولا سرف<sup>(٤)</sup>

ويقولون إن السرف: الجهل، والسرف: الجاهل. ويحتجون بقول طرفة:

إن امرأ سرف الفؤاد يري عسلاً بماء سحابة شثمي

ويقولون: إن السرف أيضاً الضراوة، وفي الحديث: "إن لحم سرفاً كسرف الخمر"، أي: ضراوة، وليس هذا بالبعيد من الكلمة الأولى. ومما شد عن الباب: السرفة: دويبة تأكل الخشب، ويقال: سرفت السرفة الشجرة سرفاً، إذا أكلت ورقها، والشجرة مسروفة. يقال إنها تبني لنفسها بيتاً حسناً. ويقولون في المثل: "أصنع من سرفة"<sup>(٥)</sup>. وكذلك ذكر ابن منظور (ت: ٧١١هـ) أن ((سرف: السرف والإسراف مجاوزة القصد. وأسرف في ماله: عجل من غير قصد، وأما (السرف) الذي نهى الله عنه فهو ما أنفق في غير طاعة الله قليلاً كان أو كثيراً. والإسراف في النفقة: التبذير، وقوله تعالى: ﴿وَالذَّيْتِ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا﴾ [سورة الفرقان: ٦٧]، لم يسرفوا، أي: لم يضيعوه في غير موضعه. وقيل: هو مجاوزة القصد في الأكل مما أحله الله. وقيل: الإسراف كل ما أنفق في غير طاعة الله. وقيل: الإسراف ما قُصِر به عن حق الله. والسرف ضد القصد وأكله سرفاً، أي: في عجلة ولا تأكلوها إسرافاً وبداراً أن يكبروا أي ومبادرة كبيرهم، قال بعضهم: إسرافاً، أي: لا تأكلوا منها وكلوا القوت على قدر نفقكم إياهم، وقال

بعضهم معنى من كان فقيراً فليأكل بالمعروف، أي: يأكل قرضاً ولا يأخذ من مال اليتيم شيئاً؛ لأن المعروف أن يأكل الإنسان ماله ولا يأكل مال غيره، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهِدُوا عَلَيْهِمْ﴾ [سورة النساء: ٦] وأسرف في الكلام وفي القتل أفرط وفي التنزيل العزيز: ﴿وَمَنْ قَتَلَ مَطْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ﴾ [سورة الفرقان: ٦٧]، وهو أن يقتل غير قاتل صاحبه وقيل: أن يقتل هو القاتل دون السلطان. وقيل: هو أن لا يرضى بقتل واحد حتى يقتل جماعة لشرف المقتول وخساسة القاتل أو أن يقتل أشرف من القاتل، قال المفسرون: لا يقتل غير قاتله وإذا قتل غير قاتله فقد أسرف والسرف تجاوز ما حُدَّ لك والسرف الخطأ وأخطأ الشيء وضعه في غير حقه قال جرير يمدح بني أمية:

أعطوا هنيئة يحدوها ثمانية ما في عطائهم من ولا سرف

أي: إغفال. وقيل: ولا خطأ يريد أنهم لم يخطئوا في عطيتهم ولكنهم وضعوها موضعها، أي: لا يخطئون موضع العطاء بأن يعطوه من لا يستحق ويحرموه المستحق. وسرفت يمينه، أي: لم أعرفها. والسرف: الضراوة، وأن الضراوة للشيء كثرة الاعتقاد له. والسرف بالشيء: الجهل به إلا أن تصير الضراوة نفسها سرفاً أي اعتياده وكثرة أكله سرف. وقيل: السرف في الحديث من الإسراف والتبذير في النفقة لغير حاجة أو في غير طاعة الله شبهت ما يخرج في الإكثار من اللحم بما يخرج في الخمر، وقد تكرر ذكر الإسراف في الحديث والغالب على ذكره الإكثار من الذنوب والخطايا واحتقاب الأوزار والآثام. والسرف: الخطأ. وسرف الشيء بالكسر سرفاً أغفله وأخطأه وجهله وذلك سرفته وسرفته. والسرف: الإغفال. والسرف: الجهل. وسرف القوم جاوزهم والسرف الجاهل ورجل سرف الفؤاد مخطئ الفؤاد غافله قال طرفة:

إن امرأ سرف الفؤاد يرى عسلاً بماء سحابة شئني

سرف الفؤاد، أي: غافل. وسرف العقل؛ أي: قليل. يقال: (أردتكم فسرفتكم)، أي: أغفلتكم وقوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ﴾ [سورة غافر: ٣٤]، كافر شاك. والسرف: الجهل. والسرف: الإغفال. ويقال: أسرف الرجل إذا جاوز الحد. وأسرف إذا أخطأ. وأسرف إذا غفل. وأسرف إذا جهل وحكى الأصمعي عن بعض الأعرابي وواعده أصحاب له من المسجد مكاناً فأخلفهم فليل له في ذلك فقال: (مررت فسرفتكم)، أي: أغفلتكم. والسرفة: دودة القز، وقيل: هي دويبة غبراء تبني بيتاً حسناً تكون فيه وهي التي يضرب بها المثل فيقال: (أصنع من سرفة). وقيل: هي دويبة صغيرة مثل نصف العدسة تتقب الشجرة ثم تبني فيها بيتاً من عيدان تجمعها بمثل غزل العنكبوت. وقيل: هي دابة صغيرة جداً غبراء تأتي الحشبة فتحفرها ثم تأتي بقطعة خشبة فتضعها فيها ثم أخرى ثم أخرى ثم تشج مثل نسج العنكبوت. وقيل: هي دودة مثل الإصبع شعراء رقتاء تأكل ورق الشجر حتى تعريها. وقيل هي دويبة تتخذ لنفسها بيتاً مربعاً من دقاق العيدان تضم بعضها إلى بعض بلعابها على مثال الناووس ثم تدخل فيه وتموت. ويقال: (سرف الطعام) إذا انتكل حتى كأن السرفة أصابته، و(سرفت الشجرة) أصابتها السرفة وسرفة الشجرة تسرفها سرفاً إذا أكلت ورقها<sup>(٦)</sup> وأوضح الدكتور محمد حسن جبل أنه يقال: (شاة مسروفة): مقطوعة الأذن أصلاً. والسرفة- بالضم -: دودة تأكل ورق الشجر، يقال: (سرفت السرفة الشجرة): أكلت ورقها حتى تعريها. و(سرف الطعام): انتكل كان السرفة أصابته. و(سرف الماء): ما ذهب منه في غير سفي ولا نفع.

وأن الإسراف هو تجاوز الحد أو الحق في الأخذ من الشيء إلى الإهدار والإفساد: كقطع الأذن من أصلها وكان يشيع أخذ قليل منها، والسرفة تُعري الشجرة من ورقها والمعتاد تخريم بعضه، وكذهاب بقية الماء بعد ري الزرع. ومنه الإسراف في المال، وهو ينصب على الإنفاق المتسع في غير نفع أو طاعة، ويشمل من التجاوز في الإنفاق ما يعد إهداراً. أما الإنفاق في الفساد فهو أكبر إثمًا من الإسراف (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا) ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [سورة الأعراف: ٣١]، ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا﴾ [سورة الفرقان: ٦٧]، ﴿فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ﴾ [سورة الإسراء: ٣٣] بقتل غير القاتل أو أكثر منه أو أشرف. ومن ذلك: السرف والإسراف في الأمور سلوكًا ومعالجات: مجاوزة القصد/ الإفراط؛ لأنه تضييع وإهدار للنعم: من مال، أو صحة، أو فراغ أو جاه<sup>(٧)</sup> وفي ضوء ما تقدم يتبين أن لفظ (سرف) مأخوذ من (السرف)، وهو في أصله اللغوي يدل على تعدي الحد، تقول: في الأمر سرف، أي: مجاوزة القدر. و(السرف) تجاوز الحد في كل فعل يفعله الإنسان. ويقال تارة اعتباراً بالقدر، كقولهم: " ما أنفقت في غير طاعة الله، فهو سرف. ويقال تارة اعتباراً بالكيفية، كقولهم أيضاً: "سمي قوم لوط- عليه السلام- مسرفين، من حيث إنهم تعدوا في وضع البذر في غير المحل المخصوص". ويقولون: إن السرف أيضاً: الضراوة بالشيء والولوع به. ويأتي (السرف) في اللغة بمعنى (الإغفال)، كقول القائل: (مررت بكم فسرفتكم)، أي: أغفلتكم. وفلان سرف الفؤاد: غافله. و(السرف) الجهل، و(السرف) الجاهل.

ت	اللفظة القرآنية	الصورة الاستعملية للجذر	الآية الكريمة	السورة	رقم الآية	المعنى
١-	إسرافنا	مصدر	﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾	آل عمران	١٤٧	الإفراط في الشيء وتجاوز الحد المشروع
٢-	إسرافاً	مصدر	﴿وَأَسْأَلُوا أَيَّتَمَتَّ حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا﴾	النساء	٦	الحرام
٣-	لمُسْرِفُونَ	اسم فاعل	﴿وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعَدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾	المائدة	٣٢	الإفراط في المعاصي
٤-	المُسْرِفِينَ	اسم فاعل	﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾	الأنعام	١٤١	التجاوز في الحد المشروع
٥-	المُسْرِفِينَ	اسم فاعل	﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾	الأعراف	٣١	التجاوز في الحد المشروع
٦-	مُسْرِفُونَ	اسم فاعل	﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾	الأعراف	٨١	تجاوزهم في الحد المشروع
٧-	للمُسْرِفِينَ	اسم فاعل	﴿كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾	يونس	١٢	الإفراط في المعاصي
٨-	المُسْرِفِينَ	اسم فاعل	﴿وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ﴾	يونس	٨٣	الشرك بالله
٩-	المُسْرِفِينَ	اسم فاعل	﴿ثُمَّ صَدَقَهُمْ الْوَعْدَ فَأَجْبَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾	الأنبياء	٩	الشرك بالله

١٠-	المُسْرِفِينَ	اسم فاعل	﴿ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴾	الشعراء	١٥١	الشرك بالله
١١-	مُسْرِفُونَ	اسم فاعل	﴿ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾	يس	١٩	الشرك بالله
١٢-	مُسْرِفٌ	اسم فاعل	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾	غافر	٢٨	الشرك بالله
١٣-	مُسْرِفٌ	اسم فاعل	﴿ كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴾	غافر	٣٤	الشرك بالله
١٤-	المُسْرِفِينَ	اسم فاعل	﴿ لَا جَرَمَ لَنَا مَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدْنَا إِلَى اللَّهِ وَآتِ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴾	غافر	٤٣	الشرك بالله
١٥-	مُسْرِفِينَ	اسم فاعل	﴿ أَنْفَضِرُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴾	الزخرف	٥	التجاوز في الحد المشروع
١٦-	المُسْرِفِينَ	اسم فاعل	﴿ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ ﴾	الدخان	٣١	الشرك بالله
١٧-	لِلْمُسْرِفِينَ	اسم فاعل	﴿ مُسْوَمَةٌ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴾	الذاريات	٣٤	تعدي حدود الله
١٨-	أَسْرَفَ	فعل ماضٍ	﴿ وَكَذَلِكَ يَجْرِي مَن أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ ﴾	طه	١٢٧	الشرك بالله
١٩-	أَسْرَفُوا	فعل ماضٍ	﴿ قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ﴾	الزمر	٥٣	الإفراط في المعاصي
٢٠-	تُسْرِفُوا	فعل مضارع	﴿ كَلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾	الأنعام	١٤١	التجاوز في الحد المشروع
٢١-	تُسْرِفُوا	فعل مضارع	﴿ يَتَّبِعِيَّ ءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾	الأعراف	٣١	التجاوز في الحد المشروع

٢٢-	يُسْرِفُ	فعل مضارع	﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطٰنًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ﴾	الإسراء	٣٣	خلاف ما يجب فعله شرعاً
٢٣-	يُسْرِفُوا	فعل مضارع	﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾	الفرقان	٦٧	النفقة في المعصية

### المبحث الثالث: نماذج مختارة من صور اشتقاقات مادة (سرف) في التعبير القرآني في كتب التفسير

يهدف هذا المبحث إلى دراسة صور الاشتقاقات المختلفة لمادة (سرف) في القرآن الكريم، وذلك من خلال بيان آراء المفسرين في دلالة صور هذا الاشتقاق وأثرها في تفسير الآية القرآنية الكريمة، وسيقف البحث على نماذج مختارة تستوفي صور الاستعمالات المختلفة للجزر اللغوي (سرف)؛ لأنّ الوقوف على الآيات كلها أمر أكبر من سعة البحث في هذه المرحلة، ويمكن بيان ذلك على النحو الآتي:

١- قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [سورة آل عمران: ١٤٧]، قال الطبري (ت: ٣١٠هـ): ((أما الإسراف فإنه الإفراط في الشيء، يقال منه: (أسرف فلان في هذا الأمر)، إذا تجاوز مقداره فأفرط. ومعناه هاهنا: اغفر لنا ذنوبنا: الصغار منها، وما أسرفنا فيه منها فخطينا إلى العظام. وكان معنى الكلام: اغفر لنا ذنوبنا، الصغائر منها والكبائر)) (٨).

٢- مجيء (إسرافاً) بمعنى (الحرام) وذلك بقوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا آيَاتِي حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا﴾ [سورة النساء: ٦]، قال الطبري: ((وأما قوله: "فلا تأكلوها إسرافاً"، يعني: بغير ما أباحه الله لك)) (٩). وقال البغوي (ت: ٥١٠هـ): أي: بغير حق (١٠). وقال القرطبي (ت: ٥٦٧هـ): ((نهي الله سبحانه وتعالى الأوصياء عن أكل أموال اليتامى بغير الواجب المباح لهم)) (١١). وكلّ أقوال علماء التفسير هذه تؤدي إلى معنى واحد: هو حرمة أخذ مال اليتيم بغير وجه مشروع.

٣- مجيء (مُسْرِفِينَ) بمعنى (التجاوز في الحد المشروع)، وذلك بقوله تعالى: ﴿يَبْنِيْ عَادَمَ حُدُودَ رَبِّكَمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [سورة الأعراف: ٣١]، أي: لا تسرفوا في الأكل والشرب، وتجاوز الحد الذي شرعه الله لكم. فقد روى ابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قوله: "وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين": في الطعام والشراب (١٢). وذكر البغوي: أن (الإسراف) المنهي عنه هنا، إنما هو تحريم ما أحلّ الله؛ إذ إنّ تحريم ما أحله الله، أو تحليل ما حرّمه يدخل في باب (الإسراف)؛ لأنّه تجاوز لحدود الله، وتعدّي على ما شرعه لعباده (١٣).

٤- مجيء (المُسْرِفِينَ) بمعنى (الشرك بالله)، إذ حمل المفسرون على هذا المعنى قوله تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَرَدْنَا إِلَى اللَّهِ وَآتَى الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ [سورة غافر: ٤٣]، قال السمعاني (ت: ٤٥٠هـ): ((وقوله: {وَأَنْ مَرَدْنَا إِلَى اللَّهِ}؛ وأنّ المسرفين هم أصحاب النار؛ أي: المشركين)) (١٤).

٥- مجيء (يُسْرِف) بمعنى (خلاف ما يجب فعله شرعاً)، ومن ذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطٰنًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ﴾ [سورة الإسراء: ٣٣]، أي: لا يقتل غير القاتل تشفياً وانقماماً. إذ يرى ((أكثرُ المُفسِّرين: معناه لا يقتل غيرَ القاتل؛ وذلك أنّهم كانوا في الجاهليّة إذا قُتِلَ مِنْهُمْ قَتِيلٌ لَا يَرِضُونَ بِقَتْلِ قَاتِلِهِ حَتَّى يَقْتُلَ أَشْرَفَ مِنْهُ)) (١٥).

٦- مجيء (يُسْرِفُوا) بمعنى (النفقة في المعصية)، جاء على هذا المعنى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ [سورة الفرقان: ٦٧]، أي: لم ينفقوا أموالهم في معصية الله، ((هم المؤمنون لا يسرفون فينفقون في معصية الله، ولا يقترون فيمنعون من حقوق الله تعالى)) (١٦)، وأنّ كلّ ما أنفق في معصية الله، وإن قلّ، فهو إسراف (١٧). وقد يكون المراد بـ(يُسْرِفُوا) في الآية هنا: التجاوز في

النفقة عن الحد المشروع، قال ابن كثير ((أي: ليسوا بمبذرين في إنفاقهم، فيصرفون فوق الحاجة، ولا بخلاء على أهلهم فيصرون في حقهم فلا يكفونهم، بل عدلاً خياراً، وخير الأمور أوسطها)) (18).

٧- مجيء (أسرفوا) بمعنى (الإفراط في المعاصي)، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ لِيَعْبُدِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ [سورة الزمر: ٥٣]، قال الواحدي (ت: ٤٦٨ هـ): ((المفسرون كلهم قالوا: إن هذه الآية نزلت في قوم خافوا إن أسلموا أن لا يغير لهم ما جنوا من الذنوب العظام كالشرك، وقتل النفس، ومعادة النبي - صلى الله عليه وآله وصحبه وسلّم -، والقتال ضده، والزنا، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وفرح النبي - صلى الله عليه وآله وصحبه وسلّم - بهذه الآية، ورأها أصحابه من أوسع الآيات في مغفرة الذنوب)) (19).

٨- مجيء (المُسْرِفِينَ) بمعنى (تعدي حدود الله)، وذلك بقوله تعالى ﴿مُسْرِفِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ﴾ [سورة الذاريات: ٣٤]، قال الطبري: ((المسومة: الحجارة المختومة، يكون الحجر أبيض فيه نقطة سوداء، أو يكون الحجر أسود فيه نقطة بيضاء، فذلك تسويمها عند ربك يا إبراهيم للمسرفين: يعني للمتعديين حدود الله، الكافرين به)) (20) وفي ضوء ما تقدم يتبين أن المعنى الرئيس الذي يدور حوله مادة (سرف) في التعبير القرآني، إنما هو تجاوز الحد المشروع، فكل من تجاوز ما شرعه الله فهو مسرف، وأن الإسراف قد يكون بفعل المعاصي، وقد يكون بفعل الشرك، وقد يكون زيادة في فعل مباح أو مطلوب، وقد يكون نقصاً في فعل مطلوب، فكل ذلك تجاوز لما شرعه الله لعباده، ورضيه لهم. وقد تبين أيضاً، أن مادة (سرف) أكثر ما جاءت في القرآن الكريم بمعنى (الشرك بالله، والكفر به)، يلي ذلك مجيئها بمعنى التجاوز في (الإنفاق). فضلاً عن أن جميع المعاني التي جاء عليها مادة (سرف) في القرآن الكريم، إنما هي معاني متداخلة ومتربطة، ويجمعها قاسم مشترك، هو تجاوز الحد المشروع.

### الخاتمة

بعد رحلة مباركة في رحاب كتاب الله العزيز خلص البحث إلى جملة من النتائج، يمكن إيجازها بأن الدلالة اللغوية لمادة (سرف) تأتي على عدة معانٍ، أبرزها: أن مادة (سرف) مأخوذة من (السرف)، وهو في أصله اللغوي يدل على تعدي الحد، أي: مجاوزة القدر في كل فعل يفعله الإنسان. ويقال: تارة اعتباراً بالقدر، وتارة اعتباراً بالكيفية، وتأتي (سرف) أيضاً في اللغة بمعنى: الضراوة بالشيء واللوع به. وكذلك تأتي بمعنى: (الإغفال)، وتأتي أيضاً بمعنى: الجهل. وأن مادة (سرف) قد وردت في القرآن الكريم في (٢٣) ثلاثة وعشرين موضعاً، وردت في (٦) ستة مواضع بصيغة الفعل، ووردت في (١٧) سبعة عشر موضعاً بصيغة الاسم. وأن المعنى الرئيس الذي تدور حوله مادة (سرف) في التعبير القرآني، إنما هو تجاوز الحد المشروع، فكل من تجاوز ما شرعه الله فهو مسرف، وأن الإسراف قد يكون بفعل المعاصي، وقد يكون بفعل الشرك، وقد يكون زيادة في فعل مباح أو مطلوب، وقد يكون نقصاً في فعل مطلوب، فكل ذلك تجاوز لما شرعه الله لعباده، ورضيه لهم. وقد تبين أيضاً، أن مادة (سرف) أكثر ما جاءت في القرآن الكريم بمعنى: (الشرك بالله، والكفر به)، يلي ذلك مجيئها بمعنى التجاوز في (الإنفاق). فضلاً عن أن جميع المعاني التي جاء عليها مادة (سرف) في القرآن الكريم، إنما هي معاني متداخلة ومتربطة، ويجمعها قاسم مشترك، هو تجاوز الحد المشروع.

### المصادر والمراجع

#### القرآن الكريم

- ❖ تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط١، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، ١٤١٩هـ.
- ❖ تفسير القرآن، للمعاني، أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (ت: ٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، ط١، دار الوطن، الرياض - السعودية، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
- ❖ التفسير الكبير (مفاتيح الغيب)، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، الملقب بفخر الدين الرازي (ت: ٦٠٦هـ)، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ.
- ❖ جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط١، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.
- ❖ الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، ط٢، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
- ❖ ديوان جرير، ط١، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

- ❖ ديوان طرفة بن العبد البكري (ت: ٦٠هـ)، اعتنى به: حمدو طماس، ط١، دار المعرفة، بيروت، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- ❖ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ❖ العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، ط٤، دار ومكتبة الهلال، د. ت.
- ❖ لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري (ت ٧١١هـ)، ط٣، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ.
- ❖ معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (ت: ٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٠هـ.
- ❖ المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، د. محمد حسن حسن جبل، ط١، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠١٠م.
- ❖ مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- ❖ الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، والدكتور أحمد محمد صيرة، والدكتور أحمد عبد الغني الجمل، والدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

### هوامش البحث

- (1) البيت لطرفة بن العبد، ديوانه: ٨٧.
- (2) العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي: ٢٤٤ / ٧ - ٢٤٥.
- (3) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري: ١٣٧٣ / ٤.
- (4) ديوانه: ٣٠٧.
- (5) مقاييس اللغة، أحمد بن فارس: ١٥٣ - ١٥٤ / ٣.
- (6) ينظر: لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري: ١٤٨ / ٩.
- (7) ينظر: المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم، د. محمد حسن حسن جبل: ١٠٠٠ / ١.
- (8) جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الطبري: ٢٧٢ / ٧.
- (9) المصدر نفسه: ٥٧٨ / ٧.
- (10) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي: ٥٦٩ / ١.
- (11) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي: ٤٠ / ٥.
- (12) ينظر: تفسير القرآن العظيم (ابن كثير) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير: ٣٦٧ / ٣.
- (13) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي: ١٨٨ - ١٨٩ / ٢.
- (14) تفسير القرآن للمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني: ١٥٨ / ٥، (مفاتيح الغيب): ٥٢٠ / ٢٧، ٣١٧ / ١٥.
- (15) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن: ١٣٢ / ٣.
- (16) جامع البيان في تأويل القرآن: ٢٩٨ / ١٩.
- (17) المصدر نفسه: ٢٩٩ / ١٩.
- (18) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير: ١١٢ / ٦.
- (19) الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي: ٥٨٦ - ٥٨٧ / ٣.
- (20) جامع البيان في تأويل القرآن: ٤٢٩ / ٢٢.